

دور عمان في نشر الإسلام في شرق أفريقيا

Oman's role in spreading Islam in East Africa

1- د. عصام منصور صالح عبد المولى/ جامعة طبرق (ليبيا)

dr.esaam2020@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022 /01/25 تاريخ القبول: 2022 /05/29 تاريخ النشر: 2022 /06/15

ملخص: موضوع دور عمان في نشر الإسلام في شرق أفريقيا من المواضيع الجديرة بالبحث والدراسة للتعريف بجهودها في عملية نشر الإسلام، في جزء استراتيجي من القارة الأفريقية الا وهو ساحل شرق أفريقيا، وهي رغبة ملحة لا لشيء الا لأني باحث عربي مسلم انتهى لهذه القارة السمراء، ومحاولة لتعريف العرب والأفارقة مدى عمق وقوة الروابط التي تربطنا معا، منذ فجر التاريخ حتى الآن تحت مظلة الإسلام، وأود الإشارة انه وللأسف واجهتني صعوبات أثناء إعداد البحث وهي افتقار مكتبتنا التاريخية العربية لعدد المصادر التي تهتم الموضوع.

على كل حال العمل في مجمله إجابة على عدة تساؤلات مهمة تكمن في توضيح تاريخية العلاقة بين عمان وسواحل شرق افريقيا، وصور العلاقة ونوعيتها، وحجمها، والعوامل التي ساعدت على قيام العلاقة، هل كانت جغرافية أم بشرية أم سياسية أم اقتصادية أم كلها مجتمعة، وهل نشر الإسلام جاء بطريقة مباشرة ام غير مباشرة، مباشرة بمعنى ان العمانيون تعمدوا نشره بين الافارقة، وان كان ذلك كذلك فما هي وسائلهم والياتهم التي اعتمدوا عليها، وغير مباشرة بمعنى هل تم اسلمة المنطقة بحكم الاحتكاك بين أهل عمان وسكان السواحل الشرقية للقارة، وما هو حجم التأثير وكم استغرق من الوقت ومراحل التاريخية، وما هو حجم التأثيرات الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي، كلها تساؤلات سيوفقنا الله، في الاجابة عنها في ثنايا البحث.

كلمات مفتاحية : عمان؛ الاسلام؛ شرق أفريقيا؛ سلطنة:زنجبار؛ سعيد؛ السلطان

الكلمات المفتاحية :

Abstract: The topic of Oman's role in spreading Islam in East Africa is one of the topics worthy of research and study to define its efforts in the process of spreading Islam, in a strategic part of the African continent, which is the coast of East Africa. The Arabs and Africans, the extent of the depth and strength of the ties that bind us together, since the dawn of history until now under the umbrella of Islam, and I would like to point out that, unfortunately, I encountered difficulties during the preparation of the research, which is the lack of our Arab historical library for many sources of interest to the subject.

In any case, the work in its entirety is an answer to several important questions that lie in clarifying the history of the relationship between Oman and the coasts of East Africa, the images of the relationship, its quality, and size, and the factors that helped establish the relationship. Was it geographical, human, political, economic, or all combined? Islam came directly or indirectly, directly in the sense that the Omanis deliberately spread it among the Africans, and if so, what are their means and mechanisms that they relied on, and indirectly in the sense of whether the region was Islamized by virtue of the friction between the people of Oman and the inhabitants of the eastern coasts of the continent, and what is the extent of the influence and how much Taking time and its historical stages, and what is the size of the religious, political, social and economic influence, all of them are questions that will help us most importantly, in answering them in the folds of the research.

Key words: Oman; Islam; East of Africa; Sultanate of Zanzibar Happy; Sultan

مقدمة :

علاقة عمان بسواحل شرق افريقيا ودورها الرائد في نشر الإسلام فيها لم يأت بمحض صدفة، بل علاقة بنيت على جذور ضاربة في التاريخ والقدم، بدأت قبل ظهور الإسلام وتواصلت بعد ظهوره، انطلق من مسقط أهم موانئ إقليم عمان، انسيابا مع التجارة والتجارة أولى العلاقات بين الطرفين، وتلتها الهجرات مؤسسة

مستوطنات يشيع منها الإسلام، فأنساب معها الإسلام والمؤثرات الإسلامية، واستمر على هذا الحال فترات من الزمن حتى وصول البرتغاليين لسواحل شرق أفريقيا، وسيطروا على موانئ الخليج العرب والبحر الأحمر وجزر وسواحل شرق أفريقيا، فأنكمش الدور العماني في نشر الإسلام في شرق أفريقيا، فترة زمنية بلغت قرنين من الزمن، إلى ان جاء دورها من جديد متمثلا في سلطنة عمان، فاهتمت بسواحل شرق أفريقيا، وشق الإسلام طريقه من جديد وتدفقت مؤثراته وحضارته تحت رعاية اهتمام السلطنة بشكل أعمق وأقوى، عندما نقلت عاصمتها من إقليم عمان إلى إحدى جزر شرق أفريقيا وهي زنجبار، فبدأ تأثيرها عن قرب في شرق القارة، مما نتج عنه حمل الإسلام وتبليغه إلى ابعد الحدود داخل القارة، ولتوضيح كل ذلك بصورة واضحة وأفكار منطقية رأيت تقسيم العمل إلى خمسة مباحث وكل مبحث منها قسمته إلى ثلاثة عناصر.

. الخصائص الجغرافية لسلطنة عُمان وشرق أفريقيا :

. الموقع : سلطنة عمان تشغل الجزء الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية تحدها الصحراء من الخلف، اي من

الشمال والمحيط الهندي من الجنوب والخليج العربي من الغرب¹، مما جعلها تتحكم بأهم طرق التجارة الدولية آنذاك، مع اندفاع العمانيون للعمل في البحر صيدا وتجارة حيث امتلكوا منفذا حيويا وهو ميناء مسقط التجاري ونظرا لقلة مواردهم الاقتصادية وسهولة الملاحة بسواحلهم جابوا عباب البحار، واشتغلوا بالتجارة الدولية، حتى وصلوا إلى سواحل شرق إفريقيا².

اما موقع ساحل شرق أفريقيا : فقد عرفها العرب قديما باسم بلاد الزنج جنوب خط الاستواء يقابلها المحيط الهندي الذي هو أيضا أطلق عليه العرب اسم بحر الزنج³، ولذلك نستطيع تحديد موقع الساحل الشرقي لأفريقيا بأنه يطل على البحر الأحمر والمحيط الهندي يقابله مباشرة عدد من الجزر الصغيرة وهي زنجبار وكلوة ومباسا وبمبا

¹ علي طاهر العريبي، مظاهر علاقة العرب بأفريقيا الشرقية، مجلة الدراسات الافريقية، العدد الثاني، سبها مركز الدراسات الافريقية، 1989م، ص 67.

² احمد شلبي، موسوعة التاريخ الاسلامي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1998م، ج 7، ص 222.

³ القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، تحقيق : محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الفكر، 1987م، ج 5، ص 321.

وزنجا وبربرا¹، وهو يشمل حسب المفهوم السياسي الحديث دولا هي : كينيا وأوغندا وتنزانيا، وتبلغ المساحة نحو 1.769 كيلو متر مربع تقريبا².

ـ **المناخ** : مناخ عمان هو مناخ شبه الجزيرة العربية معروف بارتفاع درجات الحرارة وتقلبات الطقس، وتهب على عمان الرياح الموسمية وهي شمالية وجنوبية تهب في شهور معينة من السنة³، شمالية : تهب من الشمال إلى الجنوب في فصل الشتاء، وجنوبية : تهب من الجنوب إلى الشمال تأتي في العادة بعد الشمالية في فصل الصيف⁴. لذلك استغل العمانيون اتجاه هذه الرياح في دفع سفنهم حتى وصلوا إلى سواحل شرق أفريقيا، فوجدوا سلع وأشياء لفقت انتباههم فحملوها إلى بلادهم، وكررو التجربة عدة مرات، حتى أصبحت لهم علاقات مع سواحل شرق أفريقيا، وبفضل هذه الرياح تمكنوا بالقيام برحلتين منتظمين ذهابا وإيابا، في السنة الواحدة إلى سواحل شرق أفريقيا وبأقل جهد.

مناخ سواحل شرق أفريقيا : امتاز باعتدال المناخ، وهو المناخ الاستوائي، يبدأ فصل الصيف فيه، في شهر ديسمبر، وتبلغ أقصى معدل لدرجة الحرارة فيه 30 درجة مئوية، اما فصل الشتاء يبدأ في شهر ابريل ويشمل مايو ويونيو، وكمية الأمطار ما بين 61 إلى 76 بوصة⁵، ولذلك كانت هذه المنطقة منطقة جذب بالنسبة إلى العرب، وخاصة العمانيون قصدوها لكثرة خيراتها وخصوبة أراضيها، ووفرة مياهها واعتدال مناخها ومن ثمة استقروا فيها. **تضاريس عمان** : مكونة من ثلاث مظاهر جغرافية البحر والمحيط والصحراء⁶، وسواحلها منخفضة تكثر بها المستنقعات وترتبتها مالحة الا أن هذه السواحل تكثر بها الخلجان الصالحة لبناء الموانئ الممتازة، بالإضافة إلى السهول توجد بها سلسلة من الجبال الالتوائية تفصل الساحل عن البادية إي بين البحر والصحراء، التي تحد عمان

¹ شيخ الروبة، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بغداد، مكتبة المثنى، لا. ت، ص 162؛ محمد عبد الرازق مناع، جولة في افريقيا، طرابلس، مكتبة الفكر، 1974م، ص 138.

² عبد الله بنحيت محمد، دراسات في الأدب السواحلي، القاهرة مكتبة النهضة المصرية لا. ت، ص 61.

³ نوال عبد العزيز مهدي راضي، العرب وافريقيا، مصر المطبعة التجارية الحديثة 1989م ص 8.

⁴ حميد دولا ب ضيدان، الجدور التاريخية للصالات العربية الافريقية، سبها، مركز الدراسات الافريقية، 1993م، ص 37؛ هولنجزورث، زنجان، ترجمة : حسن حبشي، القاهرة، دار المعارف، 1968م، ص 1.

⁵ سميحة ابراهيم محمد، دولة زنجان الحديثة عهد السلطان سعيد بن سلطان، طرابلس، مركز جهاد الليبي، 2000م، ص 35.

⁶ محمد سعيد السلم، ساحل الذهب الاسود، بيروت، مكتبة الحياة، 1962م، ص 19.

جنوباً وتعرف هذه السلسلة بأسم الجبل الأخضر¹، وهي امتداد لجبال زاغوس متصلة ويبلغ أقصى ارتفاع لها 3200 متر فوق سطح البحر².

أما عن الساحل فيبلغ طوله ألف ميل وأهم موانيه مسقط الذي يمتاز بعمق مائه، وقرب أبار المياه منه لتزويد السفن بالماء العذب³.

تضاريس ساحل شرق أفريقيا : ينتشر به سلسلة من الهضاب والمرتفعات مع امتداد الساحل تترك بينها وبين المحيط الهندي سهولاً واسعة فسيحة⁴، تمتاز بخصوبة الأراضي الصالحة للزراعة التي تنتج أجود المحاصيل الزراعية. ويقابل هذا الساحل من الشرق المحيط الهندي أطلق عليه العرب قديماً بحر الزنج، وتعني به الجزء الغربي من المحيط الهندي الذي يغمر ساحل شرق أفريقيا⁵، وهو اسم مشتق من ساحل شرق أفريقيا أي بلاد الزنج نسبة إلى سكانه سكانه من الزنوج⁶.

ويوجد به عدة جزر تابعة لساحل أهمها جزيرة زنجبار ومباسا وزنجبار مسطحة بشكل عام، امتازت بعمق مياهها الإقليمية مما جعلها مرسى صالح لرسو السفن العملاقة⁷، وأصبحت بذلك وسيطاً تجارياً لأقاليم وجزر ساحل شرق أفريقيا، أما مباسا فقد وصفها ابن بطوطة بأنها جزيرة كبيرة تبعد عن الساحل يومين في البحر⁸.

العلاقات التاريخية بين عمان وسواحل شرق أفريقيا :

التجارة : بدأت العلاقة بين عمان وساحل شرق أفريقيا مرحلتها الأولى متمثلة في التجارة، فقد عرفنا سابقاً أن طبيعة عمان الجغرافية شكلت عامل طرد للسكان لغلبة الصحراء والمناخ الصحراوي عليها، لذلك افتقرت منطقته الانتماء الذاتي لندرة الموارد الاقتصادية.

¹ جودة حسين جودة، العالم العربي، دراسة في الجغرافيا الإقليمية، الاسكندرية، دار المعرفة، لا. ت، ص 309.

² دولت احمد الصادق، جغرافية العالم، مصر، مكتبة الانجلو المصرية، لا. ت، ج 1، ص 35.

³ حسن يوسف حسين، وسام يوسف زمو، جغرافية الوطن العربي، إيطاليا، اديتار ، 2000م، ص 41.

⁴ فينز نزو، السيد سعيد سلطان عمان، ترجمة : محمد فاضل، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 1810م ص 117.

⁵ عبد الله بنحيت، محمد المرجع السابق، ص 61.

⁶ الجاحظ، الحيوان، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الجليل، 1987م، ج 3، ص 262.

⁷ بيكر دنلوب، بحر الزنج، دائرة المعارف الاسلامية، القاهرة، دار الشعب، 1990م، ج 6، ص 284.

⁸ ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت، دار صادر، 1964م، ص 257.

مما دفع بالعمانيين للعمل في البحر صيدا وتجارة، مستغلين موقع إقليمهم الجغرافي الممتاز المحكم في طرق التجارة الدولية العالمية، وجود ميناء مسقط العالمي كمنفذ بحري هام، يشرف على أهم طرق التجارة التي تربط بين الصين والهند وجنوب شبه الجزيرة العربية، كما ساعدهم على العمل في البحر هذه وقلة الأنواء، وسهولة الملاحة فيه، والرياح الموسمية التي دفعت سفنهم في البحر حتى وصلوا سواحل شرق أفريقيا جنوبا، علاوة على القرب الجغرافي بين عمان التي تقع في جنوب شبه الجزيرة وسواحل شرق أفريقيا، لذلك عندما وصلت أول رحلة عمانية إلى سواحل شرق أفريقيا وجدوا أمامهم دنيا جديدة وارض كجنة الله في أرضه.

وكان من طبيعي أن تقع أعينهم على خيرات وسلع لفتت انتباههم، متمثلة في الذهب والعاج والفضة الألماس واللؤلؤ وثمار جوز الهند، فحملوها وشحنوا بها سفنهم، ثم قفلوا عائددين إلى بلادهم من حيث أتوا، ورجعوا ثانياً من بلادهم إلى سواحل شرق أفريقيا، حاملين معهم سلع وبضائع عربية وهندية، واستبدلوها بأخرى افريقية. وما تجدر الإشارة إليه أن العمانيون بتجارهم مع سواحل شرق أفريقيا برعوا في صناعة السفن التجارية العملاقة، ذلك بأنهم عندما وصلوا إلى سواحل شرق أفريقيا، وجدوا أشجار جوز الهند، التي اشتهرت بها سواحل شرق أفريقيا، فاستفادوا منها في صناعة وبناء السفن، فامتلكوا أساطيل تجارية، ومن ثمة أصبحت لهم السطوة على تجارة المحيط الهندي¹.

ساعدهم على ذلك أيضا الرياح الموسمية التي استغلوها في الإبحار، فهي تهب من عمان إلى سواحل شرق أفريقيا، لمدة شهرين، وبذلك تتكون رحلة ذهاب، وتهب من سواحل شرق أفريقيا إلى عمان، وجنوب شبه الجزيرة لمدة شهرين، نشأت بذلك رحلة إياب، بدون أى جهد أو صعوبات².

ومع مرور الزمن ازدادت العلاقات التجارية بين الطرفين قوة وازدهارا وأصبح لدى العمانيون مصالح في سواحل شرق أفريقيا، مما جعل بعض التجار العمانيون يستوطنون في جزر وسواحل أفريقيا لطيب المقام، وللعمل في التجارة وعمليات المقايضة والتبادل التجاري، مؤسسين بذلك مراكز تجارية لهم، على طول سواحل شرق أفريقيا والجزر المقابلة لها مثل : زنجبار ومباسا وكلوة ومبا ومانيا، وأقاموا فيها إقامة دائمة³، وبما أن هؤلاء التجار مسلمون وطاب لهم بأهلهم وذويهم واحتلطوا بالأفارقة من باب المعاملة التجارية والتبادل التجاري، قاموا

¹ علي طاهر العربي، المرجع السابق، ص 68

² الجاحظ، المصدر السابق، ج 3، ص 262.

³ سمحيه ابراهيم محمد، المرجع السابق، ص 40.

بناء المساجد للصلاة والعبادة، ولتعليم أولادهم تلاوة القرآن، وهي عادة من عادات المسلمين، إنشاء المساجد في كل بقعة حلوا فيها، وإنشاء هذه المساجد وتضمينها مدارس لتعليم القرآن، أصبحت هذه المساجد بمثابة نقاط استقطاب الأفارقة لاعتناق الإسلام¹.

الهجرات العمانية إلى سواحل شرق أفريقيا :

قد يبدو لأي باحث أو دارس في تاريخ العلاقات العربية الأفريقية ان معظم الهجرات العربية إلى سواحل شرق أفريقيا، كان أغلبها من عمان، سواء قبل ظهور الإسلام أو بعده، ساعدتها على ذلك عدة عوامل منها وجود ميناء مسقط، المنفذ البحري الهام والرئيسي لمنطقة عمان، وطبيعة المنطقة، من حيث شح الموارد الاقتصادية وقسوة العيش².

زد على ذلك أن مناطق وجزر سواحل شرق أفريقيا، شكلت مناطق جذب لكثرة خيراتها، واعتدال مناخها، وبالعكس من طبيعة جنوب شبه الجزيرة العربية بوجه عام، وإقليم عمان بوجه خاص، اللتان شكلتا عامل طرد للسكان، لغلبة الصحراء والمناخ الصحراوي عليها، وطرد الكثير من العناصر التي عجزت عن إعالتهم³.

لذلك هاجروا بل اضطروا للنزوح إلى سواحل شرق أفريقيا بأعداد قليلة بدئ الأمر ولكن مع ظهور الإسلام، زادت الهجرات وتوسعت، فانتشر معها الإسلام انتشارا واسعا، خاصة عندما توطد في الحجاز والعرق ومصر واليمن وشمال أفريقيا⁴، فتكونت جاليات عربية عمانية مسلمة، استقرت وأقامت مستوطنات عربية بجزر وسواحل شرق أفريقيا⁵، وكانت هذه المستوطنات التي أنشأها العرب يتأثر تعداد سكانها بالرياح الموسمية، فعندما تهب الرياح من عمان إلى سواحل شرق أفريقيا تزدهم هذه المستوطنات بالتجار العرب وبالعكس عندما تهب الرياح من سواحل شرق أفريقيا إلى جنوب شبه الجزيرة ينخفض أعداد السكان⁶.

¹ عبد العزيز راشد العبيدي، وسائل انتشار الإسلام في إفريقيا، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد السادس، الخرطوم، المركز الإسلامي الإفريقي، 1990م، ص 43.

² حميد دولا ب ضيدان، المرجع السابق، ص 37.

³ صالح أحمد مطر، تطور العلاقات العربية الإفريقية في العصور القديمة والوسطى والحديثة، مجلة البحوث الإفريقية، العدد الرابع، سبها، مركز الدراسات الإفريقية، 1991م، ص 41.

⁴ نفسه، ص 40.

⁵ علي طاهر العربي، المرجع السابق، ص 68.

⁶ جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، مصر، دار الفكر العربي، 1996م، ص 220.

وتجدر الإشارة انه كان هناك عوامل وأسباب سياسية شجعت على توالي الهجرات الإسلامية، وهي القلاقل والفتن التي كانت تعصف بديار الإسلام، تمثلت في اضطهاد سياسي في العهدين الأموي والعباسي، لبعض الطوائف والقبائل، مما يضطرها للهجرة إلى شرق أفريقيا، لذلك هاجرت قبائل بأكملها¹، وجدت في شرق أفريقيا ملاذاً وأماناً بعيداً عن سطوة الطرف الغالب، وأول هذه الهجرات تلك التي فرت من وجه الحجاج بن يوسف الثقفي، عندما بسط نفوذه على عمان، ونزلت في زنجبار²، ويقال أنهم نزلوا في لامو واستطاعوا تأسيس إمارة إسلامية، اعتبرت الأقدام في ساحل شرق أفريقيا³، وتبعته في القرن السابع الهجري، هجرة أخرى من إقليم عمان بقيادة سليمان النبهاني ونزلت في جزيرة بات، وتمكن أحد هؤلاء المهاجرين بالزواج من ابنة حاكم بات وتنازل له عن حكم الجزيرة⁴، فازدهرت في عهده وظلت في ازدهارها حتى مجيء البرتغاليين لسواحل أفريقيا⁵.

ونتيجة لهذه الهجرات تكونت وحدات سياسية إسلامية مزدهرة سياسياً واقتصادياً مستمدة حضارتها وروحها من الحضارة الإسلامية واندمج فيها العرب العمانيين مع الافارقة، وحدث التزاوج والانصهار، وكان من الطبيعي ان يأخذ عنهم الافارقة الإسلام والثقافة العربية الإسلامية.

تأثير الهجرات العُمانية في سواحل شرق افريقيا :

رأينا فيما سبق الحديث عنه أن العلاقات بين العمانيين وسواحل شرق افريقيا تعود لفترات زمنية موعلة في القدم، قبل ظهور الإسلام، وتوطدت بعد ظهور الاسلام، تمثلت أولاً في التجارة ونتج عنها اقامة مراكز عمانية تجارية على سواحل وجزر شرق افريقيا، ومن ثمة ازدهرت هذه المراكز وتحولت إلى مستوطنات عربية إسلامية، اندمج فيها العرب والافارقة ومع مرور الزمن، بتوالي وتدفق الهجرات تحولت إلى أمارات يحكمها أمراء وسلاطين عرب عمانيون، انتقلت معهم تلقائياً حضارتهم ودينهم إلى الشعوب ساحل شرق أفريقيا، عندما شرعوا في بناء المساجد في كل بقعة حلوا فيها وغدت نقاط استقطاب الافارقة لاعتناقهم الإسلام طوعية دون أكره⁶، وباعتناق الافارقة

¹ احمد الياس حسين، انتشار الإسلام شرق أفريقيا، كتاب محاضرات الموسم الثقافي الأول، 1979-1980، طرابلس، مركز الجهاد، 1989م، ص235.

² احمد شلي، المرجع السابق، ج7، ص 23 .

³ جمال زكريا قاسم، المرجع السابق ص48، عبد الله بخيت، المرجع السابق، ص 72.

⁴ جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص 70، 71.

⁵ عبد الله بخيت محمد، المرجع السابق، ص75.

⁶ ماتيف، تطور الحضارة السواحلية، كتاب تاريخ افريقيا العام، ج4 بيروت، مطبعة حسين درغام، 1997م، ص 468.

للإسلام تغيرت حياتهم وطريقة عيشتهم وسلوكهم نحو الأفضل، حيث اتخذوا الأزياء العربية الإسلامية وتسموا بالأسماء العربية وتلقبوا بالألقاب الإسلامية¹.

وترتب على بناء المساجد ظهور فن العمارة الإسلامية، حيث استخدمت الأحجار بدلا من الطين في عملية البناء، ومن ثمة انتقل هذا الفن إلى تشيد البيوت بالحجارة والأخشاب، ودخل كذلك الفن المعماري الإسلامي في تخطيط المدن، وزخارف أسقف البيوت وأبوابها ونوافذها²، بالإضافة إلى إن انتشار الإسلام بين الأفارقة ورسوخه طوعه أدى إلى القضاء على العنصرية، التي كانت موجودة بين القبائل الأفريقية، مما جعل منهم جماعة واحدة تحت مظلة الاسلام، تربطهم رابطة الاسلام برباط الأخوة³.

كما اختفت بعض العادات والتقاليد البشعة مثل تقدم القرابين البشرية، ووأد الأطفال، كذلك اوجب الاسلام على العرا منهم ارتداء الملابس، حيث كانت العادة منتشرة بينهم⁴، بل أنهم اخذوا يتطهرون ويتأنقون في أزيائهم⁵.

كذلك ادخل المهاجرون الصناعات في سواحل شرق افريقيا، خاصة وإن افريقيا غنية بوجود المعادن مثل الذهب والفضة⁶، وبفضل هؤلاء المهاجرون ظهرت صناعة استخراج الذهب، في سواحل شرق افريقيا واهتموا كذلك بالزراعة والثروة الحيوانية مستغلين جودة وخصوبة الأراضي بتلك السواحل⁷.

إلا ان تأثير هذه المهجرات في سواحل شرق افريقيا ظل محصورا على الجزر والسواحل، فلم يتوغل الاسلام إلى الدواخل، لان العرب فضلوا الإقامة في الجزر على طول الشريط الساحلي لغرض التبادل التجاري، ولعب دور الوسيط في التجارة الدولية، إلا انه حدث توسع حمل الاسلام إلى أعماق القارة الافريقية، وتوغل فيها حتى كاد

¹ نفسه، ص 466.

² محمد المبروك يونس، تاريخ التطور السياسي للعلاقات العربية الافريقية، طرابلس، مطابع الثورة العربية، 1988م، ص 28.

³ احمد ابراهيم دياب، لمحات من التاريخ الافريقي الحديث، الرياض، دار المريخ، 1981م، ص 75.

⁴ ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 257.

⁵ محمود سلام زناقي، الإسلام والتقاليد القبلية في إفريقيا، بيروت، دار النهضة العربية، 1969م، ص 14.

⁶ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق : محمد محيي الدين، بيروت، المكتبة العصرية، 1987 م، ص 151؛ ابو الفداء اسماعيل،

تقويم البلدان، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع، ص 57؛ ابن حوقل، صورة الارض، بيروت، دار صادر، لا. ت، ص 63.

⁷ محمد المبروك يونس، المرجع السابق، ص 28.

يصل إلى سواحل الغربية للقارة، المطلة على المحيط الأطلسي، بفضل جهود سلطنة عُمان، واضطلاعها بهذا الدور الجليل في عملية نشر الإسلام، في شرق إفريقيا¹. سيأتي الحديث عنه فيما بعد.

عصور الحكم في عمان : قبيل ظهور الدعوة الإسلامية، حكمتها أسرة الجلندى، وملكهم كان يدعى جيفر، دعاه الرسول صلى الله عليه وسلم للإسلام فأجاب وأجاب معه قومه وحسن اسلامهم²، وفي العهد الراشدي عندما انهزم الخوارج على يد الخليفة علي ابن أبي طالب في موقعة النهروان سنة 38 هجري، فرت فلولهم إلى عمان وتضامن معهم الأهالي، واعتبروا الدولة الأموية عدوهم الأول، ومن هنا اخذت عمان بمذهب الخوارج، وخاصة الاباضي، لذلك في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان استولى عليها الحجاج ابن يوسف الثقفي، وفر آل الجلندى إلى زنجبار إحدى جزر شرق أفريقيا.

أما في العصر العباسي فقد تمكنت من الاستقلال والانفصال عن بغداد مركز الخلافة العباسية³، ويمكن أن توجز عصور حكم في عُمان حتى قيام سلطنة عُمان في الأتي :

أولا : عصر الأئمة الاباضية : يبدأ بانفصال عمان عن سلطة الخلافة العباسية سنة 135 هجري حتى الاحتلال البرتغالي للخليج العربي سنة 913 هجري.

ثانيا : عصر الاحتلال البرتغالي : ويبدأ من سنة 913 هجري عندما تمكن البرتغال من تحويل التجارة العالمية إلى طريق رأس الرجاء الصالح، وإحكام قبضتهم على سواحل شرق افريقيا، وجنوب شبه الجزيرة العربية، حتى تم طردهم على يد دولة اليعاربة سنة 1034 هجري.

ثالثا : عصر دولة اليعاربة : يبدأ من سنة 1034 هجري حتى سقطت على يد دولة آل بوسعيد " سلطنة عمان " - 1154 هجري.

رابعا : سلطنة عمان قامت على انقاض دولة اليعاربة سنة 1154 هجرى¹، ومن ثمة نقلت عاصمتها الإدارية إلى جزيرة زنجبار، إحدى جزر سواحل شرق افريقيا، واستأنفت جهود العمانيون بنشر الاسلام في شرق أفريقيا، مهينة لمسرح الدعوة الاسلامية مناخا هادئا لانتشار الاسلام ومؤثراته بشكل أعمق من الجهود السابقة.

¹ رودولف سعيد روث، السيد سعيد بن سلطان، ترجمة : عبد المجيد سعيد القيسي، بيروت، الدار العربية، 1988، ص 119؛ رولاندا اوليفر،

وجون فيج، موجز تاريخ افريقيا، ترجمة : دولت احمد الصادق ومحمد السيد غلاب، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، لا. ت، ص 188

² احمد شلبي، المرجع السابق، ج 7، ص 236

³ احمد شلبي، المرجع السابق، ج 7، ص 234، 235.

قيام سلطنة عمان وانتقال عاصمتها إلى شرق أفريقيا :

مؤسسها كان واليا على صحار لدى دولة عمان بإقليم عمان، واستغل ضعف السلطة في دولة اليعاربة، الناجم عن بعض الفتن التي أملت بها، فاستطاع تحويل الحكم لأسرته وهي أسرة آل بو سعيد، ويدعى احمد بن سعيد، كان رجلا قياديا طموحا حكيما، استطاع بحنكته السياسية اصطناع القبائل العمانية، فألثفت حوله ووقفت إلى جانبه وساندته²، إلا ان السلطنة بلغت قمة قوتها في عهد حفيد السلطان سعيد بن سلطان، حيث عمل على توطيد حكمه في عمان، وقضى على كل مصادر القوى والخطر في دولته الناشئة³، ولما اطمئن لنجاحه، التفت إلى سواحل شرق افريقيا، وعمل على ضمها لممتلكاته في عمان، الا انه واجه بداية الأمر معارضة وحركات انفصالية قامت بها منبسة احدي مدن ساحل شرق افريقيا، ولكن نهاية الأمر تمكنت السلطنة من القضاء على هذه المعارضة، وضمت مدن وجزر ساحل شرق افريقيا لنفوذها⁴.

ونظرا لكثرة خيرات سواحل شرق افريقيا، وخصوبة أراضيها، وموقعها الفريد، واعتدال مناخها، وارتباطها تاريخيا بإقليم عمان، خطر على قلب السلطان سعيد فكرة نقل العاصمة من عمان إلى زنجبار، شجعه على ذلك سببين :

الأول سياسي : استنزاف موارد بلاده وخيراتها بسبب الفتن والحرب، وافتقارها أصلا للموارد الاقتصادية. الثاني : رأى في زنجبار المكان المناسب لإدارة شؤون دولته، وموقعها الاستراتيجي، ووفره مواردها الاقتصادية، لذلك اتخذ قراره التاريخي بنقل العاصمة من عمان إلى زنجبار سنة 1832م⁵، ومن هنا بدء دور الفعال لسلطنة عمان بنشر الإسلام في شرق أفريقيا .

جهود سلطنة عمان في سواحل شرق افريقيا

اولا : في مجال السياسة :

¹ نفسه، ج7، ص 236.

² بول هورن، بوسعيد، دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، دار الشعب، 1990م، ج8، ص 344

³ سميحة ابراهيم، المرجع السابق، ص 53.

⁴ نفسه، ص 54.

⁵ جمال زكريا، المرجع السابق، ص 217.

قبيل نقل العاصمة من مسقط إلى زنجبار، تمكنت سلطنة عمان من القضاء على الحركات الانفصالية، التي قامت بها بعض المقاطعات والمدن الساحلية، التي رغبت بالاستقلال التام، عن وطنها الأم، إقليم عمان، والتي تزعمتها مدينة ممبسة، التي كان حكامها من أسرة المزروعي حكموها أيام دولة اليعاربة في إقليم عمان¹.

وما لبثت باقي المقاطعات والمدن والجزر ان أعلنت خضوعها لسلطنة عمان، وعادت إلى حظيرة السلطنة وهي زنجبار وكلوة ومبا ومانيا²، وهدأت أحوالها، فأخذ السلطان سعيد قراره التاريخي بنقل مقر عاصمته من إقليم عمان إلى جزيرة زنجبار، وذلك عندما زارها وأعجب بموقعها الفريد، ومناخها المعتدل وبهرته كثرة خيراتها، وتنوع ثروتها، ووجد استقبالا بترحاب وحفاوة بالغة من أهالي زنجبار³، ومن اجل ذلك شرع في بناء دولة جديدة وفق أسس سياسية اقتصادية واجتماعية سليمة، اعتبرت تحولا جوهريا في تاريخ المنطقة⁴.

واختلط في هذه الدولة الجديدة العمانيين بالأفارقة أكثر من قبل⁵، جمع بينهم الإسلام، وانصهر الطرفين في بوتقة واحدة، لان العرب المسلمون لم يؤمنوا بنظرية التفاوت الجنسي بين الأجناس، الأمر الذي احتفى معه التمييز العنصري داخل الدولة الجديدة⁶، لذلك امتاز النظام الإداري فيها بالمساواة بين جميع أفراد المجتمع في تولي الوظائف الإدارية عربا كانوا أو أفارقة، حتى أنها أسندت إدارة بعض الولايات إلى حكام أفارقة مسلمون⁷.

كما تم الاهتمام بالنظام القضائي، استمد أحكامه من القرآن الكريم، فأصبح القرآن الكريم شريعة المجتمع، وجعل النظر في المظالم من اختصاص السلطان سعيد مباشرة، وفيما سواها اختصاص القضاء⁸.

وهكذا مع اهتمام بشئون الدولة الداخلية توطدت أركانها، اما خارجها فقد عمل السلطان سعيد على إنشاء أسطول بحري، لحماية دولته الناشئة ضد الأخطار الخارجية، والربط بين الجزر المتناثرة¹، وبالفعل تم بناء أسطول،

¹ سميحة ابراهيم، المرجع السابق، ص 54.

² نفسه، ص 54.

³ جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص 217؛ سميحة ابراهيم، المرجع السابق، ص 56.

⁴ مصطفى نبيل، تنزانيا العرب وصراع اللون والثروة، الكويت، مجلة العربي، العدد 230، 1978م، ص 25.

⁵ أ.أ. سالم، شرق أفريقيا : الساحل، كتاب تاريخ أفريقيا العام، بيروت، مطبعة حسين درغام، 1997م، ج 5، ص 627.

⁶ عبد المولى صالح الحرير، الإسلام وأثره على التطورات السياسية والفكرية والاقتصادية في أفريقيا جنوب الصحراء، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، طرابلس، جامعة الفاتح، 1989م، ص 98.

⁷ جعفر عباس حميد واخرون، تاريخ الخليج العربي المعاصر، جامعة بغداد، 1991، ص 103.

⁸ سميحة ابراهيم، المرجع السابق، ص 66.

جمع فيه الوظائف الحربية والتجارية، حيث استخدمت سفن الحربية في التجارة، والنقل التجاري في أوقات السلم، مما أدى إلى ازدهار البلاد اقتصادياً، وتوطيد أمنها وحماية مصالحها².

ثانياً : في مجال الاقتصاد :

نتج عن نقل العاصمة من مسقط إلى زنجبار ازدهار الحركة التجارية أكثر بكثير مما عليه من قبل، حيث حرص السلطان سعيد عندما نقل عاصمته على اصطحاب الأغنياء والتجار العمانيون، الذين بدورهم ساعدوا على توسيع حجم عمليات التبادل التجاري، وفق خبراتهم وفنونهم في هذا المجال³.

وتجدر بالإشارة انه فيما عدا ذلك قبل انتقال العاصمة من مسقط إلى زنجبار، كانت الحركة التجارية محصورة على شريط الساحلي والجزر التابعة له، لان التجار لم يحاولوا التوغل نحو الداخل، وإنما حدث ذلك في ظل السلطنة، مع توالى الهجرات من عمان إلى الدولة الجديدة، فأزداد حجم التبادل التجاري، فأخذ التجار بالتوغل نحو الداخل طلباً للذهب والعاج⁴.

فأسسوا بنشاطهم هذا شبكة واسعة من الطرق البرية مرتبطة مع بعضها البعض، ربطت بين مسالكها استراحات للتجار القوافل، ومع مرور زمن تحولت إلى مراكز تجارية، ومن ثمة إلى مدن مزدهرة يسطع فيها نور الإسلام⁵. وهكذا مع تأسيس هذه الشبكة تم ربط الساحل والجزر المتناثرة بالمراكز التجارية التي تأسست داخل القارة، فامتدت ممتلكات الدولة الجديدة وزادت رفعتها حتى بلغت تنجانيقا وبحيرة فكتيوريا، وابتعد من ذلك، حتى بلغت الشاطئ الغربي للقارة المطل على المحيط الأطلسي، حتى ضرب مثلاً على ذلك، فاشتهر المثل القائل : " حينما يلعب احد على المزمارة في زنجبار .. يرقص الناس طرباً على البحيرات"⁶، وهذا يدل على مدى قوة الترابط

¹ على سلطان، تاريخ العرب الحديث، طرابلس، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، لا. ت، ص224؛ خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت، دار العلم للملايين، 2005م، ج3، ص148.

² سميحة إبراهيم، المرجع السابق، ص74.

³ جمال زكريا، المرجع السابق، ص217.

⁴ سميحة إبراهيم، المرجع السابق، ص67.

⁵ رودلف سعيد، المرجع السابق، ص118؛ جمال زكريا، المرجع السابق، ص218.

⁶ هولنجزورث، المرجع السابق، ص7

بين مناطق الدولة الجديدة، إلا أنه من الصعب تحديد ممتلكات في سلطنة بدقة داخل القارة الأفريقية ووسطها، لأن حركة القوافل، لم تعرف الفواصل، فكلما اتسعت الشبكة القوافل اتسعت معها مراكز والمستوطنات العمانية¹.

ونستطيع القول بأن هذا الاتساع الذي حدث شمل دواخل القارة واتسع معه الإسلام، بفضل السلطان سعيد الذي جمع بين شخصية الحاكم والتاجر، وشجع التجار²، وجلب رجال أعمال عمان معه، وبناء أسطولا بحريا ربط بين مناطق المنطقة وبين الوطن الأم، فأصبح الساحل الشرقي لأفريقيا مرتبطا بمعين لا ينضب من الإبداع المادي والفكري، لذلك في ظل سلطنة عمان استقبلت شرق أفريقيا فنانون وصناع وحرفيين مهرة، وضعوا لمآستهم في تمدن وتحضر الساحل الشرقي لأفريقي³.

ثالثا : جهود السلطنة في مجال نشر الدين الإسلامي :

رأينا فيما سبق أنه بفضل سلطنة عمان وجهودها في مجالي السياسة والاقتصاد، تحول الساحل الشرقي الأفريقي إلى دولة عربية إسلامية، متزامية الأطراف، شملت سواحل الخليج العربي، وسواحل شرق قارة أفريقيا، وجزره ودواخل القارة، حتى كادت تبلغ أو بلغت الشاطئ الغربي لأفريقيا، وتمتعت بالهدوء والسلام والمساواة بين سكانها على اختلاف أجناسهم اجتماعيا وسياسيا.

وزادت عهدا حجم عمليات التبادل التجاري حتى نعم الساحل برخاء اقتصادي، كفّل لهذه الدولة الناشئة ومواطنيها حياة كريمة، فتوالى المهجرات من ديار الإسلام لهذه المنطقة، وهي هجرات الكثير من أفرادها مثقفون وعلماء ومحدثون وفقهاء، انتشروا في كافة أرجاء الدولة الجديدة .

وباستقرار هؤلاء بشرق أفريقيا بين المراكز الثقافية بديار الإسلام مثل مكة والمدينة، وبعض المدن الحضرية، والقاهرة واسطنبول، توطدت العلاقات بين مراكز العلم في ديار الهجرة، ومراكز العلم في ديار الإسلام، عندما

¹ جمال زكريا، المرجع السابق، ص 217.

² مصطفى نبيل، المرجع السابق، ص 52.

³ محمد صالح أيوب، جذور الثقافة العربية في وسط أفريقيا، بنغازي، اللجنة الشعبية للإعلام والثقافة، مجلة الثقافة العربية، العدد الثاني، 1990م، ص 29.

بداء الطلاب يسافرون من شرق أفريقيا إلى هذه المراكز العلمية، ونهلوا من علومها ومعارفها، وعادوا إلى شرق إفريقيا، بإجازات تؤهلهم بنشر العلم واللغة العربية¹.

وبالفعل قاموا بتدريس علوم القرآن الكريم واللغة الشريعة الإسلامية في المساجد، التي انتشرت في كل مكان وفي بيوتهم، كما ان السلطان سعيد شخصيا عمل على تشجيع الحركة الثقافية، رغبة منه في بإحلال الإسلام وعلومه محل الوثنية وعاداتها وتقاليدها، فتم إنشاء العديد من المدارس، عهد بالتدريس فيها العلماء كبار، من اجل نشر اللغة العربية بين الأفارقة وتلقيهم في أمور الدين الإسلامي حتى بلغ عدد المدارس في زنجبار وحدها خمسة عشر مدرسة عرفت بأسم الدوكسي².

ومن اجل تعزيز وتسهيل عمليتها في انتشار الإسلام بشكل أوسع وأسرع ترجم القرآن الكريم إلى اللغة السواحيلية، وهي لغة وليدة، فتولدت عن الامتزاج بين العرب والأفارقة، فأصبحت اغلب مفرداتها من اللغة العربية³.

وتجدر الإشارة إلى أن المذاهب السنية الأربعة وجدت طريقها إلى شرق أفريقيا، لتسامح السلطان سعيد مع كل المذاهب حتى الشيعية، فتعاونت مع بعضها لانجاز هدف سامي وهو نشر الإسلام، وتبعتها في نفس المضمار الطرق الصوفية، لذلك شجعها السلطان سعيد لانتشار في ربوع ممتلكاته، مما أدى إلى انتشار الإسلام بين الأفارقة، ودخلوهم الإسلام أفواجا، حيث أن الصوفيين جمعوا بين التجارة والدعوة إلى الإسلام، فبنوا المساجد والزوايا وأسسوا المدارس، بما توفر معهم من أرباح التجارة⁴.

تعدد مراكز الدعوة الإسلامية :

1- المساجد : كثر بنائها في كل بقعة حل بها المسلمون والحقت بها الكتاتيب لتعليم الصغار تلاوة القرآن الكريم، وجعلت له أوقاف لصرف مرتبات الأئمة وكذلك أعمال الصيانة والترميم ميزانية، خاص من الدولة.

2- الزوايا : صاحب انتشارها انتشار الطرق الصوفية، وأدت وظيفة تلقين العلم ونشر الإسلام⁵.

¹ أ.أ. سالم، المرجع السابق، ص 850.

² سميحة ابراهيم، المرجع السابق، ص 37.

³ عبد الله بخيت، المرجع السابق، ص 100.

⁴ سميحة ابراهيم، المرجع السابق، ص 122، 123.

⁵ نفسه، ص 122.

3- الرباطات : جمع رباط وهو بناء يجتمع فيه من تفرغ للعبادة من الزهاد والصالحين، استعداد للجهاد في سبيل، لذلك يجمع بين الصفتين الحربية والدينية¹، اهتم السلطان سعيد أقامتها في المناطق المتاخمة للقبائل الأفريقية المعادية وهي لا تقل في أهميتها عن المساجد والزوايا².

نتائج جهود سلطنة عمان بنشر الإسلام ومؤثراته في شرق أفريقيا :

أولا : نتائج سياسية واجتماعية :

قامت سلطنة عمان بجهود عظيمة في سواحل شرق أفريقيا والداخل، فاقت كل الجهود التي سبقتها، سواء قام بها التجار أو الهجرات العربية القديمة، التي استقرت بسواحل شرق أفريقيا، وكانت أولى جهودها القضاء على الحركات الانفصالية، بين الجزر والمدن الساحلية الأفريقية، وبعدها نقلت عاصمتها إلى زنجبار، ووحدت سواحل وجزر شرق أفريقيا تحت سلطانها، في عصر أصبح فيها البقاء للأقوى، لمواجهة الأخطار الصليبية، لذلك شقت الدعوة الإسلامية طريقها من جديد، وب نجاح وسرعة إلى شرق أفريقيا، فتهيئ لمسرح الدعوة الإسلامية مناخا هادئا فانتشر الإسلام وتعمق أكثر.

ولم تتوقف النتائج عند هذا الحد بل امتد الإسلام إلى داخل القارة الأفريقية حتى شمل الجزر والسواحل ودواخل القارة، فبلغ الشاطئ العربي المطل على المحيط الأطلسي، وهي مناطق لم تطرق أبواها الدعوة الإسلامية الا في ظل السلطنة العمانية³.

ولحفاظ على هذه المكاسب، عملت السلطنة على تعزيز الأمن والاستقرار ببناء أسطول بحري قادر على حماية سواحلها وأملاكها، ضد كل من تسول له نفسه المساس بأمنها ومصالحها ومكاسبها الحضارية⁴. وحفظت الأمن الداخلي بحاميات عسكرية صغيرة، جنودها عرب وأفارقة، فأصبح الأمن مسؤولية الجميع كل مواطن عربي كان أو أفريقي، وانتشرت هذه الحاميات في كل مدينة وجزيرة وقرية⁵.

¹ ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، 1955م، ج7، ص307؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1982م، ص608.

² سميحة إبراهيم، المرجع السابق، ص125.

³ جمال زكريا، المرجع السابق، ص217.

⁴ بكنهام، بو سعيد، دائرة المعارف الاسلامية، القاهرة، دار الشعب، 1990م، ج8، ص345.

⁵ جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص103.

كما قامت السلطنة بدور عظيم أنساني من منطلق دينها وعقيدتها الإسلامية لمنع تجارة الرقيق، في وقت تكالبت فيه الدول الأوروبية على استنزاف القارة الأفريقية، واسر أبنائها، ونقلهم إلى أوروبا، للعمل في مصانعها ومزارعها، مما ترتب عليه آثار سلبية على مقدراتها، لذلك أبرمت السلطنة معاهدة مع إنجلترا، فمنعت بموجبها هذه التجارة غير الإنسانية¹، وأقفلت الأسواق النحاسية التي تبيع العبيد²، وصادرت كل السفن التي يشتبه بأنها تحمل الرقيق من الممتلكات العمانية في شرق القارة³، وهو يمثل موقفان أحدهما أنساني يتفق مع تعاليم الدين الإسلامي، والثاني سياسي لحزمة أراضي وأملاك الدولة في شرق أفريقيا، وحماية مواطنيها والحفاظ على حريتهم، ولهذا اختفى التمييز العنصري بين العرب والأفارقة، حيث تتمتع كلاهما بنفس الحقوق والواجبات، وتقلد الأفارقة مناصب إدارية وقيادية في الدولة بدون تمييز في الجنس أو اللون⁴.

وبإقامة سلطنة عمانية في شرق القارة انتقلت معها المؤثرات الحضارية من العالم الإسلامي، حيث شيدت المستشفيات بكثرة لاستيعاب العرب والأفارقة، وقدمت لهم أفضل وأرقى رعاية صحية⁵.

ثم تلاها انتقال الكثير من المظاهر الحضارية مثل الفنون المعمارية في البناء والتشييد مع إدخال بعض التحويرات والتطوير لتناسب البيئة الأفريقية، وهي تبدو واضحة ماثلة للعيان حتى يومنا هذا في عمارة البيوت والقلاع ذات الأبواب والنوافذ المصنوعة من خشب الساج ومنقوش عليها آيات من القرآن الكريم⁶.

فارتبطت فنون عمارة والذوق العربي بفن شرق أفريقيا، حيث اتخذ طابع عربي عماني صرفاً، وهو ما اقره علماء الآثار، وأشهرها قصر العجائب وقصر المهروي⁷.

ومن الآثار الاجتماعية الباقية حتى يومنا هذا، في عادات وتقاليد الساحل، الزي العربي الإسلامي، وعادة الحجاب للنساء⁸، والذوق العماني في المأكول والمشرب منها القهوة العمانية، الحلوى والتمر والخبز¹.

¹ سميحة إبراهيم، المرجع السابق، ص 107.

² مصطفى نبيل، المرجع السابق، ص 53.

³ سميحة إبراهيم، المرجع السابق، ص 110.

⁴ جمال زكريا، المرجع السابق، ص 319.

⁵ سميحة إبراهيم، المرجع السابق، ص 76.

⁶ مصطفى نبيل، المرجع السابق، ص 43.

⁷ سميحة إبراهيم، المرجع السابق، ص 142، 143.

⁸ محمود سلام زناقي، المرجع السابق، ص 23.

ثانيا : نتائج الاقتصادية :

قامت السلطنة بمجهود رائدة أدت إلى ازدهار أفريقيا اقتصاديا والرقى بها وتقدمها، إذ لم يكن قيام سلطنة عربية الإسلامية في شرق القارة سببا لتأخرها واستنزاف خيراتها أو إتلاف بيئتها، لذلك تمكنت السلطنة على مدى نصف قرن من الزمن، بوجودها في شرق القارة وقلبها، من إحداث تحولات اقتصادية عظيمة، في المجالات التجارية والزراعية، أعطت للقارة وجهها حضاريا مميز، بين دول العالم في ذلك الوقت، الأمر الذي تمخض عنه رخاء اقتصادي ورفاهية لشعب شرق أفريقيا وسواحل جنوب شبه الجزيرة العربية، أدى إلى تدفق الكثير من المهاجرين العربية إلى سواحل شرق أفريقيا، فازدحم الساحل وجزره المتعددة ، فأضطّر المهاجرين للتوغل واستيطان دواخل القارة، حاملين معهم الحضارة والدين الإسلامي إلى أبعد الحدود، وعملوا بالتجارة وتنظمت عمليات البيع والشراء.

وشمل نفوذها الاقتصادي في الداخل، الكونغو والبحيرات الاستوائية، واستغلت خيرات القارة الاستغلال الأمثل، بإنشائها شبكة طرق قوافل تجارية، ربطت بين إقليم شرق أفريقيا، وزودت بمحطات تجارية واستراحات، فرجع الفضل إلى السلطنة في اكتشاف محاصيل القارة، عندما تم وصف جغرافيتها ومساكنها في خرائط ومخطوطات، أصبحت مصدرا استفد منه الأوروبيين، عندما عجزوا عن الآتيان بالجديد، بالعكس مما كان معروفا قديما عند العمانيين²، وتم إنشاء أسطولا بحريا عملاقا ازدهرت به التجارة بالتعامل مع الأسواق العالمية ربطت بالأسواق المحلية التي أقيمت داخل القارة³.

ولتسهيل عمليات البيع والشراء قامت سلطنة بضرب عملة عرفت بالبيسة بدلا من أسلوب المقايضة التقليدي الذي لا يكاد يجدي نفعا، ووفر الأمن والراحة للتجار الوافدين، ووظفت الخبرات الهندية في مجال التجارة، حتى أصبحت زنجبار من أشهر الأسواق العالمية، ومستودعا للمنتجات الأفريقية⁴، الأمر الذي كان له مردوده الاقتصادي وجلب الربح والدخل الوفير على سواحل شرق أفريقيا ودواخلها.

هذا ولم تقف النتائج عند هذا الحد بالاعتماد على التجارة كمصدر وحيد لدخل الدولة، بل خصصت بعض عائداتها لإقامة مشاريع زراعة استغلالا لخصوبة الأراضي، وملائمة المناخ لإنتاج محاصيل زراعية، ذات قيمة غذائية عالمية، ومردود اقتصادي هائل، وهي محاصيل لم تألفها القارة من قبل مثل زراعة القرنفل⁵، حيث لعبت الخبرات

¹ سميحة إبراهيم، المرجع السابق، ص 148.

² محمد المبروك يونس، المرجع السابق، ص 29، 30.

³ سميحة إبراهيم، المرجع السابق، ص 96.

⁴ رولاند أوليفر وجون فيج، المرجع السابق، ص 186.

⁵ رأفت غنيم الشيخ، أفريقيا في التاريخ المعاصر، القاهرة، دار الثقافة، 1991م، ص 156.

العمانية دورا بارزا في إنتاجه، علاوة على ان السلطان سعيد اصدر أوامره لأصحاب المزارع بزراعة أشجار القرنفل، بمقدار ثلاث شتلات مقابل كل شجرة جوز هند¹، فانتشرت زراعته في زنجبار العاصمة وعلى طول الشريط الشرقي للقارة، حتى بلغت صادرات زنجبار من إنتاجه 95% من الإنتاج العالمي حتى يومنا هذا، ومع زراعة محاصيل القرنفل صاحبها زراعة محاصيل أخرى مثل الفلفل الأحمر وأشجار الليمون والسمسم، بالإضافة إلى الاهتمام بزراعة الصمغ والبن في مرتفعات زنجبار².

وعلى كل حال نجحت جهود السلطنة في مجال الزراعة حتى تحولت مدن الساحل مثل مالندى ومنبسة ولامو إلى مستودعات غلال في شرق القارة الأفريقية اكتفت منها ذاتيا أولا، وغطت حاجة الأسواق العالمية.

ثالثا : نتائج دينية :

قامت سلطنة عمان بجهود رائعة، كللت بنجاح في سبيل نشر الدين الإسلامي ونقل المؤثرات الحضارية، حيث صاحبت عملية انتشار الإسلام، وهو أمر طبيعي، ولعل أهم جهودها وأهمها هو محاولتها الناجحة بإدخال الإسلام ونشره في عمق وقلب القارة وتقبل الأفارقة طوعية دون أكره، فتوطد الاسلام وجب ما قبله من العادات وتقاليد وثنية، كانت منتشرة بين الأفارقة مثل السحر والشعوذة وتقديم القرابين البشرية للإلهة³، وبذلك اعتنقوا الإسلام عن فهم وقناعة، ووجدوا القدرة في شخص المسلم العربي، من أمانة وصدق وطهارة وعدل ووفاء ومعاملة حسنة مستمدة من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف⁴.

ومن خلال الاحتكاك والاندماج اقتدى الأفريقي بالمسلم العربي، حتى انه حرص على أداء فريضة الحج وتحمل المشاق ومعاونة السفر، فأتيحت له فرصة الاجتماع بكافة المسلمين على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم وبلدانهم التي جاءوا منها، فنتج عن ذلك تبادل فكري ثقافي، مع انبهارهم بالحضارة العربية الإسلامية، بما لمسوها في الأراضي المقدسة وخلال مرورهم بأراضي الديار الإسلامية، عندما شاهدوا بعض المظاهر الحضارية نتاج الدين الإسلامي، فلما عادوا إلى بلدتهم قلدوها، ومثال ذلك هي عادة حجاب المرأة إلى حث عليه القرآن الكريم، حيث راءوا النساء المحجبات ، لذلك عند عودتهم الزموا نسائهم بارتدائه⁵، وشملت المؤثرات الإسلامية الأدب الأفريقي، فتأثر أدبهم بالأدب العربي، عندما شجع السلطان سعيد حركة الترجمة للمؤلفات العربية من الشعر

¹ سميحة إبراهيم، المرجع السابق، ص 92

² مصطفى نبيل، المرجع السابق، ص 45؛ جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص 103.

³ سميحة إبراهيم، المرجع السابق، ص 94، 95؛ رأفت غنيم الشيخ، المرجع السابق، ص 156.

⁴ احمد ابراهيم دياب، المرجع السابق، ص 76، 77.

⁵ محمود سلام زناقي، المرجع السابق، ص 23.

والأدب إلى اللهجة السواحيلية التي كتبت بالخط العربي، لذلك كان أى عمل يبدأ بالبسملة، ثم مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ديباجة من ذكر الصحابة والدعاء بابتهاالات دينية¹.

وتجدر الإشارة ان مراكز الدعوة الإسلامية التي اتخذتها السلطنة لدعوة الإسلام تحولت مع الاهتمام بها ومرور الزمن إلى جامعات والمدارس كبرى تخرج منها افواج من العلماء الأفارقة وجمعوا بين العلم والدعوة للإسلام، والاهتمام بالثقافة والفكر الإسلامي، فنسجت قصص شعبية دينية تحت المسلم على أداء الواجبات الدينية، كالصيام والنهي عن إفطار في شهر رمضان والطهارة، وهي نسج الأدباء الأفارقة المتدينين².

علاوة على أن الأفارقة أنفسهم حاربوا البدع والشعوذة، عندما كان الزنجاريون يعالجون مرضاهم من المس والجان بتعويذات شركية لا تنفع ولا تضر، لذلك تم الاستعانة بالقرآن الكريم للعلاج كطريقة شرعية مثل تلاوة آية الكرسي على رأس المريض الممسوس، وللوقاية من الحسد نقش آيات من القرآن على أبواب المنازل³، وبانتشار الإسلام واتساع رقعته ورسوخه في نفوس معتنقيه الأفارقة، انتشرت بينهم آداب إسلامية، لازالت راسخة حتى يومنا هذا، فمثلا : عند تناول وجبات الطعام يبدأون بالبسملة ويحمدون الله بعده على ما رزقهم، وفي حضرة الضيوف تنفصل النساء عن الرجال في أوقات تناول الطعام⁴، ومن مظاهر الحياة الاجتماعية التي تأثرت بالإسلام وصبغت بصبغة الشرعية الإسلامية، ان سكان شرق إفريقيا اتبعوا الشرع الإسلامي وتمسكوا بالعروة الوثقى حيث يغسلون موتاهم ويكفنونهم، ويحضر الرجال فقط الجنازة ويصلى عليها في المسجد، وجعلوا مدة الحداد ثلاثة أيام، ومقولة العزاء لأهل الميت " البقاء لله " والرد " شكر الله سعيكم " وختم التّوآن الكريم كل ليل على روح الميت⁵.

أخيراً نستطيع القول بأنه يعود إليه فضل في انتشار الإسلام داخل القارة حتى رقعة جغرافية مترامية الأطراف، امتدت من الجزر والسواحل الشرقية للقارة حتى سواحلها الغربية المطلة على المحيط الأطلسي، وهي مناطق لم تطرق الدعوة الإسلامية أبوابها من قبل، وصبغت بصبغة إسلامية واضحة الملامح لازالت باقية حتى اليوم، ومن خلال البحث عن دور السلطنة في نشر الإسلام في شرق أفريقيا، أنها لعبت دوراً كبيراً في ازدهار القارة اقتصادياً وحضارياً من خلال الاهتمام بالتجارة والزراعة أدت إلى إحداث ثورة زراعية عادت على شعوب شرق أفريقيا بالرخاء وسعة العيش، بالعكس ما يفعله وفعله المستعمرون في أى بلد يدخلونه.

¹ سميحة إبراهيم، المرجع السابق، ص 132 ، 133.

² عبد العزيز راشد العبيدي، المرجع السابق، ص 43.

³ سميحة إبراهيم، المرجع السابق، ص 125.

⁴ نفسه، ص 149.

⁵ نفسه، ص 155.

قائمة المصادر والمراجع¹

- احمد إبراهيم دياب، لمحات من التاريخ الأفريقي الحديث، الرياض، دار المريخ، 1981م.
- احمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1998م.
- احمد الياس حسين، انتشار الإسلام شرق أفريقيا، كتاب محاضرات الموسم الثقافي الأول، 1979-1980، طرابلس، مركز الجهاد، 1989م.
- بكنهام، بو سعيد، دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، دار الشعب، 1990م.
- بيكر دنلوب، بحر الزنج، دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، دار الشعب، 1990م.
- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت، دار صادر، 1964م.
- بول هورن، بوسعيد، دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، دار الشعب، 1990م.
- المحافظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل، 1987م.
- جعفر عباس حميد وآخرون، تاريخ الخليج العربي المعاصر، جامعة بغداد، 1991م.
- جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، مصر، دار الفكر العربي، 1996م.
- جودة حسين جودة، العالم العربي، دراسة في الجغرافيا الإقليمية، الإسكندرية، دار المعرفة، لا. ت.
- حسن يوسف حسين، وسالم يوسف زمو، جغرافية الوطن العربي، إيطاليا، اديتار، 2000م.
- حميد دولا ب ضيدان، الجذور التاريخية للصلات العربية الأفريقية، سبها، مركز الدراسات الأفريقية، 1993م.
- ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت، دار صادر، لا. ت.
- خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت، دار العلم للملايين، 2005م.
- دولت احمد الصادق، جغرافية العالم، مصر، مكتبة الانجلو المصرية، لا. ت.
- رأفت غنيم الشيخ، أفريقيا في التاريخ المعاصر، القاهرة، دار الثقافة، 1991م.
- رودولف سعيد روث، السيد سعيد بن سلطان، ترجمة: عبد المجيد سعيد القيسي، بيروت، الدار العربية، 1988م.
- رولاندا اوليفر، وجون فيج، موجز تاريخ أفريقيا، ترجمة: دولت احمد الصادق ومحمد السيد غلاب، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، لا. ت.
- سالم، شرق أفريقيا: الساحل، كتاب تاريخ أفريقيا العام، بيروت، مطبعة حسين درغام، 1997م.

¹ تم استثناء " ال. ابن. أبو. أبي " من الترتيب الأبجدي .

- سميحة إبراهيم محمد، دولة زنجبار الحديثة عهد السلطان سعيد بن سلطان، طرابلس، مركز جهاد الليبيين، 2000م.
- صالح احمد مطر، تطور العلاقات العربية الإفريقية في العصور القديمة والوسطى والحديثة، مجلة البحوث الأفريقية، العدد الرابع، سبها، مركز الدراسات الإفريقية، 1991م.
- شيخ الربوة، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بغداد، مكتبة المثنى، لا. ت.
- عبد الله بخت محمد، دراسات في الأدب السواحلي، القاهرة مكتبة النهضة المصرية لا. ت.
- عبد العزيز راشد العبيدي، وسائل انتشار الإسلام في إفريقيا، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد السادس، الخرطوم، المركز الإسلامي الإفريقي، 1990م.
- عبد المولى صالح الحرير، الإسلام وأثره على التطورات السياسية والفكرية والاقتصادية في أفريقيا جنوب الصحراء، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، طرابلس، جامعة الفاتح، 1989م.
- على سلطان، تاريخ العرب الحديث، طرابلس، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، لا. ت.
- علي طاهر العريبي، مظاهر علاقة العرب بأفريقيا الشرقية، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد الثاني، سبها مركز الدراسات الإفريقية، 1989م.
- أبو الفداء إسماعيل، تقويم البلدان، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع، لا. ت.
- فينز نزو، السيد سعيد سلطان عمان، ترجمة: محمد فاضل، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 1810م.
- ماتيف، تطور الحضارة السواحلية، كتاب تاريخ أفريقيا العام، ج4 بيروت، مطبعة حسين درغام، 1997م.
- محمد سعيد السلم، ساحل الذهب الأسود، بيروت، مكتبة الحياة، 1962م.
- محمد صالح أيوب، جذور الثقافة العربية في وسط أفريقيا، بنغازي، اللجنة الشعبية للإعلام والثقافة، مجلة الثقافة العربية، العدد الثاني، 1990م.
- محمد عبد الرازق مناع، جولة في إفريقيا، طرابلس، مكتبة الفكر، 1974م.
- محمد المبروك يونس، تاريخ التطور السياسي للعلاقات العربية الإفريقية، طرابلس، مطابع الثورة العربية، 1988م.
- محمود سلام زناقي، الإسلام والتقاليد القبلية في إفريقيا، بيروت، دار النهضة العربية، 1969م.
- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين، بيروت، المكتبة العصرية، 1987م.
- مصطفى نبيل، تنزانيا العرب وصراع اللون والثروة، الكويت، مجلة العربي، العدد 230، 1978م.
- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، 1955م، ج7، ص307؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1982م.
- نوال عبد العزيز مهدي راضي، العرب وإفريقيا، مصر المطبعة التجارية الحديثة 1989م.
- هولنجزورث، زنجبار، ترجمة: حسن حبشي، القاهرة، دار المعارف، 1968م.

